الحياة السياسية للإمامين العسكريين عليهما السلام

تقريراً لأبحاث آية الله الشيخ محمد السند

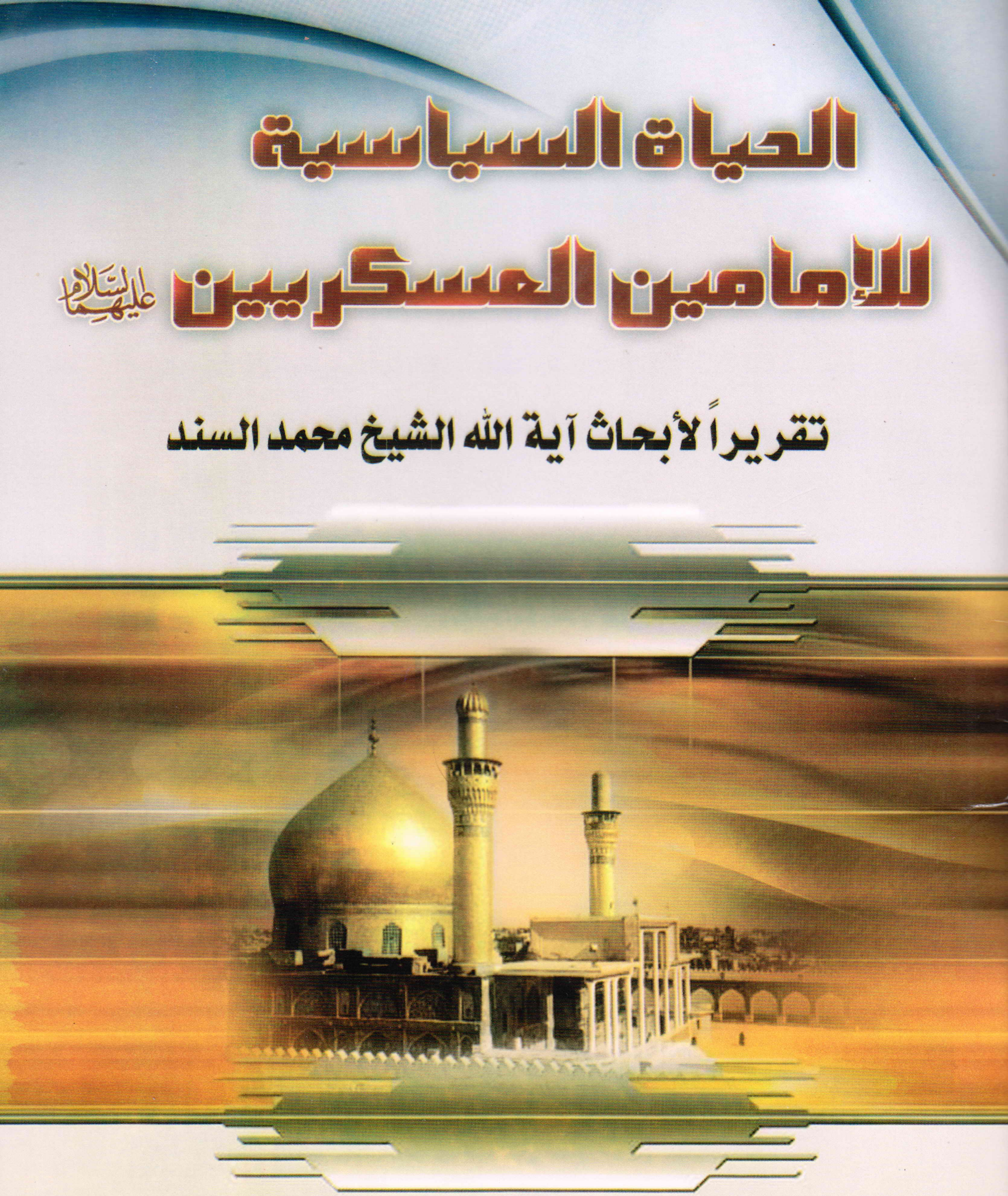

بقلم

ابراهيم حسين البغدادي

الحياة السياسية

للإمامين العسكريين عليهما السلام

الحياة السياسية
للإمامين العسكريين عليهما السلام

تقريرا لأبحاث
آية الله الشيخ مُحمَّد السند

بقلم
إبراهيم حسين البغدادي

هوية الكتاب

عنوان الكتاب: ..... الحياة السياسية للإمامين العسكريين عليهما السلام

المؤلف: ..... تقرير أبحاث آية الله الشيخ محمد السند

بقلم: ..... إبراهيم حسين البغدادي

سنة الطبع: ..... ٢٠١٣ ميلادية

عدد النسخ المطبوعة: ..... ٥٠٠٠ نسخة

المطبعة: ..... الكلمة الطيبة

عدد صفحات الكتاب: ..... ٦٤ صفحة

الإخرج الفني: ..... السيد عبدالله الهاشمي ـ النجف الأشرف

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى سيدة النساء فاطمة

إلى بضعة سيد الأنبياء فاطمة

إلى زوجة سيد الأوصياء فاطمة

إلى القائدة الحامية والذائدة الساعية

إلى التي عصمها الله من الذنوب وبرأها من العيوب وأتمنها على الغيوب

إلى سيدة الورى والآية الكبرى والحجة العظمى والدعوة الحسنى

سيدتي أهدي إليك هذا الجهد المتواضع راجياً منك القبول

عبدك الأبق

إبراهيم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على خير الخلق مُحَمَّد وآله الطيبين الطاهرين واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين.

وبعد ...

إنَّ هذا الكتاب هو عبارة عن محاضرتين ألقاهما سماحة الأُستاذ آية الله الشيخ مُحَمَّد السند، وقد ألقاهما في جوار المرقد الطاهر للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، بمناسبة الذكرى السنوية لاستشهاد الإمامين العسكريين عليهما السلام، وقد بيَّن سماحته سبب الاستنفار والتخوُّف من الدولة العباسية تجاه الإمام علي الهادي عليه السلام والإمام الحسن العسكري عليه السلام، وما هي الدواعي التي جعلت الدولة العباسية تفرض الإقامة الجبرية على الإمامين عليهما السلام، ولماذا أعلنت حالة الطوارئ العسكرية والأمنية في وزارتي الدفاع والداخلية ـ لو صحَّ التعبير ـ وما هي الأسباب التي جعلت الدولة العباسية تستعرض استعراضاً عسكرياً ضخماً أمام الإمام علي الهادي عليه السلام، ومع كل هذهِ

التحديات والمصاعب فإنَّ الإمامين العسكريين عليهما السلام لم يتركوا الأمّة الإسلامية سدىً، بلْ كانت قيادتهم لكل الدولة الإسلامية وليسَ في سامراء أو الحجاز.

نعم، كانت تحت سرية تامّة ولكن استطاعت هذهِ القيادة الإلهية أنْ تسيطر على وضع الأمّة الإسلامية دينياً واقتصادياً وسياسياً وأمنياً، حتّى سلمت زمام القيادة والإمامة إلى صاحب العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف، بعدما حافظت عليه أمناً من الدولة الحاكمة الظالمة التي كانت تراقب بشدة الوضع لمعرفة ولادته كي يتمّ اعتقاله ومن ثم تصفيته كما فعلت ذلك مع آبائه وأجداده عليهم السلام، وفي كل هذهِ الظروف الأمنية استطاع الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنْ يحافظ على حجة الله والقائم من بعده لقيادة العالم كُلَّه من شماله إلى جنوبه، ومن غربه إلى شرقه؛ حتّى لا تخلو الأرض من حجة فتسيخ بأهلها.

ومن ثم بدأت القيادة الجديدة بإدارة الأمور ولكن بقيادة خفية، ومع خفائه هذا أرعب العالم وأرهبهم، كلّ هذا سوف تجده ـ عزيزي القارئ ـ بين طيّات هذا الكتاب.

وأخيراً نسأل من الله القبول والرضا والتمسُّك بولاية أهل البيت عليهم السلام والسير على نهجهم وسيرتهم تحت قيادة قائم آل مُحَمَّد عجل الله تعالى فرجه الشريف والحمد لله رب العالمين.

١٥/رجب/ ١٤٣٤هـ
ذكرى وفاة السيدة زينب عليها السلام
إبراهيم حسين البغدادي
النجف الأشرف

الجواد عليه السلام أعظم بركة

وَرَدَ في حقّ الأئمة عليهم السلام نعوت خاصّة بهم، وقدْ امتاز كل إمام معصوم بنعت خاصّ، وإنْ كانوا عليهم السلام كلّهم من نور واحد، ومن بين الأئمة عليهم السلام الإمام الجواد عليه السلام، حيث وَرَدَ على لسان جملة من آبائه المعصومين عليهم السلام بأنَّه أعظم بركة.

فقدْ روى يحيى الصنعاني، قال: دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام وهو بمكّة، وكان يقشِّر موزاً ويطعم أبا جعفر، فقلتُ له: جُعلت فداك، هذا المولود المبارك؟.

قال عليه السلام: **«نعم يا يحى هذا المولود الذي لم يولد في الإسلام مولود أعظم بركة على شيعتنا منه»**[1].

ولتوضيح هذا النعت الشريف لابدَّ أنْ نبيِّن بعض الأمور:

منهاج المعرفة:

إنَّ جملة من علماء الإمامية الأكابر كالشيخ المفيد والسيد المرتضى والشيخ الطبرسي وغيرهم، يؤكِّدون ويركِّزون على أنَّ دلائل وبراهين إمامة أهل

---

(١) الكافي، ج٦: ٣٦٠؛ بحار الأنوار ج٥٠: ٢٠.

البيت عليهم السلام غير مختصّة وغير مقتصرة على النصّ القرآني أو النص النبوي أي النص الوحياني مع شرفيته وعظمته، ولكن لا يظن أحد أنَّ إمامة علي عليه السلام ـ مثلاً ـ دليلها يقتصر حصرياً على منهج الأميني في كتابه الغدير. فهناك مناهج أُخرى كثيرة غير منهج النصّ كما في كتاب ملحمة الغدير لبولس سلامة مع أنَّه مسيحي إلّا أنَّ كتابه هذا بيَّن فيه إمامة الإمام علي عليه السلام بمنهج وبيان آخر وكمصافقة ومصادقة منظمة الأمم المتحدة على اتخاذ عهده عليه السلام لمالك الاشتر ـ الذي هو قواعد النظام الاداري القانوني للدولة ـ مصدراً للتقنين للدولة العصرية بل اتخاذ كل نهج البلاغة مصدراً من مصادر التقنين لدول العالم.

أو ـ مثلاً ـ كتاب فاطمة وترقي مُحَمَّد لسليمان كتاني، وهو منهج آخر في بيان مقام الصديقة الزهراء عليها السلام وهو غير منهج النصّ كما هو واضح.

فهناك مناهج أُخرى لإمامة أهل البيت عليهم السلام، وعندما نعبِّر مناهج في الدلالات على إمامتهم عليهم السلام فهذا لا يعني أنَّ نتيجة هذهِ الدلالات فقط وفقط هي الوصول إلى اليقين والإيمان بإمامة أهل البيت عليهم السلام، بلْ الأمر أعظم من هذهِ المعرفة، فإنَّ هذهِ المعرفة إذا تكاملت وعرفت تفصيل هذهِ المعرفة فسوف تكون أكمل للجانب الفكري.

مؤتمر باريس:

في عقد السبعينات الميلادية عقد مؤتمر دولي في فرنسا حول شخصية الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وقد شارك فيه بكتابة البحوث خمسة وعشرون شخصية علمية عالمية من الجامعات الدولية، وكان أحد هؤلاء هو السيد

موسى الصدر، وقد طبعت مقالاتهم وترجمت باللغة الانجليزية واللغة الفرنسية وطبعت في كتاب خاص لحياة الإمام الصادق عليه السلام.

وقد طُبِعَ هذا الكتاب عِدَّة طبعات، وكان هذا الكتاب منهج جديد للتعرُّف على شخصية أهل البيت عليهم السلام سيما الشخصية العلمية في أهل البيت عليهم السلام كروَّاد متميزين في البشر ينهل منهم مجتمعات وأجيال وبلدان البشر إينما كانوا.

إعتراف غربي بعلم أهل البيت عليهم السلام:

في خطاب للرئيس الأمريكي أوباما ألقاه في مصر يخاطب فيه المسلمين، اعترف من خلاله أنَّ الذي نقل العلم الحديث إلى أوروبا ومن أوروبا إلى الأمريكيين ثم إلى شرقها وغربها هو جامع الأزهر، وجامع الأزهر هو جامع الزهراء عليها السلام الذي بُني في عهد الفاطميين، وباعتراف من جميع المسلمين، وكما هو معروف، أنَّ الدولة الفاطمية كانت دولة شيعية وتابعة لمدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وهذهِ العبارة التي أطلقها هذا الرئيس ليست صدفةً أو عبطاً؛ لأنَّه خطاب حسّاس بلْ تم إعداده من قبل مراكز دراسات ضخمة في أمريكا، وفي الواقع هذهِ اعترافات حضارية من البشر في أئمة أهل البيت عليهم السلام، وهذا اعتراف خطير، فإنَّ من الذين أولدوا هذهِ العلوم التجريبية الحديثة برمّتها هو جابر بن حيّان الذي هو تلميذ الإمام الصادق عليه السلام، وباعتراف منهم، وهذا ما مدوَّن في الموسوعة البريطانية الموجودة الآن عندهم، وتعتبر هذهِ الموسوعة من أوثق الموسوعات بلحاظ العلوم الحديثة.

الإعجاز العلمي وعلوم أهل البيت عليهم السلام:

وإذا أردنا أنْ نعرف إمامة أهل البيت عليهم السلام وريادتهم للبشر فلا يمكن حصر هذهِ المعرفة بظاهر النصّ الوحياني، فإنَّ أحد الدلائل البينة الأُخرى التي هي دلائل عقلائية بشرية برهانية هي علومهم المأثورة، فإنَّ علومهم معجزة خالدة كما أنَّ القرآن هو معجزة خالدة إلى يومنا هذا، فإنَّ قول النبي صلى الله عليه وآله: «إنِّي تاركٌ فيكم الثقلين كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ، وعترتي»[1]. وهو كلام العترة وعلومهم، فإنَّ إعجاز القرآن لاينحصر في الإعجاز البلاغي بلْ هناك إعجازات عديدة منها الإعجاز العلمي أيضاً، فكذلك إعجاز أهل البيت عليهم السلام، فإنَّهم عدل القرآن بمعنى علوم أهل البيت توازي وتطابق وتتحد مع علوم القرآن وتضاهيها في الإعجاز.

فإنَّ أي لون من الإعجاز القرآني إذا لمسناه في القرآن نستطيع أنْ نلتمس نفس ذلك اللون الإعجازي في أهل البيت عليهم السلام.

فإذا أردنا أنْ نعرف أنفسنا إلى من نتتمي، وإلى أي جامعة بشرية علميةمعينة فلابدَّ لنا أنْ نعرف أننا نتتمي إلى أهل البيت عليهم السلام، فإنَّ لديهم عليهم السلام علوم شتى من العلوم الإنسانية، والعلوم القانونية، والمعرفية، والإيديولوجية، علوم في الجانب الفلسفي، بلْ في كل العلوم الطبيعية المادية مثل جانب الفضاء.

وهذا معناه أنَّ التحدي العلمي والإعجاز باقٍ، وعلم أهل البيت عليهم السلام في السبل والأبواب المختلفة لا زال في مرمى التحدّي مع البشر.

يجهل الكثير من السلفية أو الوهابية أو العلمانية، أو من المثقفين عندما

---

(١) مستدرك الحاكم ج٣: ١٠٩؛ المعجم الكبير للطبراني ج١: ١٢٩.

يظنون بأننا نستند في انتمائنا إلى أهل البيت عليهم السلام نستند فقط إلى النصر التعبدي أو النص القرآني أو النبوي، نعم وإنْ كان هذا مستنداً عظيماً ولكن ليسَ منحصراً فيه فقط، فإننا لا ننتمي إلى جهة مجهولة بلْ إلى جهة معروفة بهذا الإعجاز العلمي المستمر مواكبة في تحديه لمسيرة العلوم البشرية، فلديهم أبواباً من العلم في كل مجالات الحياة، كعلم النفس، وعلم الأسرة، وعلم المجتمع، وعلم البيئة.

فإذا كان في القرآن الكريم جانب إعجازي أي بلاغي فانظر إلى نهج البلاغة والصحيفة السجادية، وانظر إلى أي إعجاز بلاغي موجود فيهما، وإن كان إعجاز القرآن أعظم من كلام المخلوق ، وإن كان قد اصطفاه الله.

سند نهج البلاغة:

إنَّ قدرة منظومة المضمون في نهج البلاغة هو فوق قدرة البشر، والبعض نراه يسال عن أسانيد نهج البلاغة، فإنَّ نهج البلاغة لا يتوقف أو يتكيء على البشر الرواة كي نصحح أسانيده من خلال مساجلاتنا مع الوهابية أو السلفية أو مع المثقفين العلمانيين، فحاشا لنهج البلاغة أنْ يتوقف على هكذا أمر، كما نقول هذا للقرآن الكريم ، حاشا حجية القرآن الوحيانية أنْ يتوقف على تواتر نقل المسلمين في إثبات نفسه، فكذلك نهج البلاغة والصحيفة السجادية بلْ وكذلك كتاب تحف العقول وتوحيد المفضل وغير ذلك من التراث الروائي الحديثي لأهل البيت عليهم السلام.

فلا يمكن أنْ نقول أنَّ وثاقة الرواة من البشر تكون مولِّدة لوثاقة نهج البلاغة، فهو ليس شعراً وخطابةً، بلْ بحث علمي برهاني فوقاني، فالقطع

واليقين والإعجاز الموجود فيه لا يصل إليه الرواة الصحاح ولا يصل إليه حتّى التواتر؛ لأنَّ التواتر غاية ما يوصلنا إلى الصدور فقط بدرجة اليقين الحسي لا بدرجة اليقين الوحياني الذي هو أرفع من اليقين الحسي، واليقين الحسي بصدور الألفاظ لا يعطيك اليقين بعموم مضمون ما صدر، فعلم أهل البيت عليهم السلام هو من أكبر الدلائل العظيمة على إمامتهم الإلهية، ولذلك قالوا وأكَّدوا على أنْ لو علم الناس محاسن كلامنا لأتبعونا.

والمحاسن هنا ليست معناها البلاغة بلْ علو العلوم التي توصل الإنسان إلى برِّ الأمان؛ لأنَّ أهل البيت عليهم السلام يريدون الحقيقة أنْ تنتشر، فمثلاً العدالة المطروحة في الساحة الدولية في أبعادها الفطرية لا تتناغم مع التوراة والإنجيل المحرَفَين، ولا تتناغم مع البوذية، ولا تتناغم حتّى مع مذاهب أهل السُّنّة الإسلامية، ولكنّها تتناغم فقط مع بنود أهل البيت عليهم السلام وخصوصاً مع بنود سيد الشهداء عليه السلام ومع بنود رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام؛ وها نحن نرى في المعاهد الحقوقية والقانونية في سويسرا عندهم نهج البلاغة وعلي بن أبي طالب عليه السلام أشدّ معرفة ودراسة بهما من الجامعات العربية والإسلامية؛ لأنَّ أهل البيت عليهم السلام أكبر من الشيعة ومن المسلمين ومن العرب؛ لأنَّ لديهم سعة نور وأُفق بسعة نور الله عَزَّ وَجَلَّ.

هذا مادفع كوفي عنان عندما كلن رئيساً لمنظمة الأمم المتّحدة الى الاقتراح بأنْ تكتب هذهِ العبارة **«الناس صنفان إمَّا أخٌ لك في الدين أو نظير لك في الخلق»** وهو ما كتبه وأملاه علي بن أبي طالب عليه السلام إلى مالك الأشتر.

والأمر لم يتقصر على ذلك بلْ رشَّح ـ كوفي عنان ـ أنْ يكون أحد مصادر التشريع للبشر هو نهج البلاغة، وحدث تصويت من جميع

الاعضاء في منظمة الامم المتحدة ـ والتي هي قرابة مئتان دولة وممثليهم من نخب البشر ـ على ذلك، ولم يكن هذا الاقتراح ببركة العرب ولا ببركة الشيعة بلْ ببركة عقول البشر، وهذا مما يدلُّ على المنهج العلمي كيف يجذب عقول البشر والعلماء والنخب الذين لا تمتّ لهم أي صلة بالإمام عليه السلام أو بالأئمة عليهم السلام.

ولم يكتف عنان بذلك بلْ قال يجب أنْ يكون نظام التنمية في البشر والإدارة والمراقبة للحكومات والعدالة مستمداً من نهج البلاغة.

ترجمة علوم أهل البيت عليهم السلام:

هناك نجم من أساتذة الجامعة الأمريكية قدْ استبصر بالإيمان والولاء لأهل البيت عليهم السلام، وهذا الأُستاذ قبل مدّة لاحقته قوى اللوبي اليهودية في أمريكا ولفقت عليه أمور قضائية مفتعلة كي تخرجه من موقعه الذي هو فيه، فهرب إلى أوروبا، والآن له كرسي مهم في التدريس، علماً أنَّ لديه بنت قدْ تزوَّجت بأحد المؤمنين.

هذا الأُستاذ التقى به أحد السادة المقيمين في المهجر وهو من الشخصيات المعروفة، وهذهِ الشخصية نقلت عن ذلك الأُستاذ المستبصر قولاً وهو:

أنَّ الغرب كثير القراءة للصحف والكتب والإصدارات المكتوبة أكثر من الشرق الأوسط، وأنتم الشيعة لم تلتفتوا إلى اللغة التي تخاطبون بها الغرب، فصحيح أنَّ المسجد أو الحسينية مؤثِّرة ولكن الجسر المؤثِّر بالغرب هو الكتاب، فلو تترجمون كلمات وأحاديث أهل البيت عليهم السلام بترجمة عصرية وبلغة غربية لتلاقفها الغرب بشكل ينبهم لمكانة علوم أهل البيت عليهم السلام.

وفي الواقع كلامه هذا صحيح ودقيق جداً، فإنَّ انتشار شخصية الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام أجدر في انتشار الإسلام من نشر كلمات العلماء المتعلمين على موائدهم، فلو طُبعت وبلغة غربية كل علوم أهل البيت عليهم السلام وبلغات يفهمها الغرب وتنشر هذهِ العلوم في مراكز النشر العامة والجامعات والمكتبات وفي مراكز الدراسات وفي المحافل العلمية.

وقد سمعنا بعض الأخبار أنَّه بعد حادثة نهج البلاغة التي أشرنا إليها قبل قليل ودور الأمم المتحدة، هناك مؤسسة حقوقية دولية قدْ رشَّحت رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام أنَّه أكبر تراث تاريخي حقوقي خالد للبشر.

فلابدَّ لنا أنْ نسعى في إبراز وإبانة وإظهار وتجلية شخصية الأئمة المعصومين عليهم السلام، لا أنْ نبرز ونظهر ونركِّز على الشخصيات الشعرية مثلاً.

وغير ذلك من الشخصيات مع كل الاحترام والتقدير للعلماء والأعلام والشخصيات المجدة والكفوءة والمخلصة، ولكن لا يمكن أنْ نساوي بين المعصوم وغيره.

ولذلك نرى بعض المستشرقين يعترفون هم والفرس والروم أنَّ الفتوحات الإسلامية لم تكن بقوة يد الجيش الإسلامي بلْ جاءت على يد الرسول صلى الله عليه وآله وبعد ذلك بتدبير من الإمام علي عليه السلام[1]، فمعرفة عظمة شخصية النبي صلى الله عليه وآله وخلقه وزهده وحكمته ورأفته وووغيرها من كمالاته وكمالات أوصياءه هي تفتح العقول والقلوب لإنتشار نور الإسلام، وعكس ذلك معكوساً وهي إنتشار الشخصيات الظلامية فإنها تشوه وسدود أمام إنتشار نور الإسلام.

---

(١) راجع كتاب الصحابة بين العدالة والعصمة لسماحة الشيخ الأُستاذ.

علم الإمام الجواد عليه السلام

فإذا أردنا أنْ نفتح قلوب البشر لنور الإسلام ونور الإيمان لابدَّ لنا أنْ نبرز شخصيات الأئمة المعصومين عليهم السلام، لو نركّز على شخصية الإمام الجواد عليه السلام وهو في صغر سنه الشريف لم يبلغ الحلم أقام ملاحم علمية في منتدى الخوؤون العباسي ـ المأمون ـ، حتى أعجز يحيى بن أكثم فقيه أهل السنة، وقاضي قضاة بغداد آنذاك، فقد أحضر المأمون يحيى بن أكثم قاضي قضاة بغداد لامتحان الإمام الجواد عليه السلام، وكان له من العمر تسع سنين وأشهر، فانبرى يحيى إلى المأمون فطلب منه أنْ يأذن له في امتحان الإمام فأذِن له في ذلك، واتّجه يحيى صوب الإمام، وقال له: أتأذّن لي ـ جعلت فداك ـ في مسألة؟

فقال الإمام عليه السلام: **«سل إنْ شئت»**.

ووجّه يحيى مسألته إلى الإمام قائلاً: ما تقول ـ جعلني الله فداك ـ في محرم قتل صيداً؟

فقال الإمام عليه السلام: **«قتله في حلٍّ أو حرم، عالماً كان المحرم أم جاهلاً ...»**[1]. **إلى آخر الرواية المشتملة على شقوق وأقسام وصور لم تخطر على بال فقيه.**

---

(١) الإرشاد: ٣٦١؛ وسائل الشيعة ج٩: ١٨٧.

فَذُهِلَ يحيى وتحيَّر، وبان عليه العجز.

ونفس هذهِ الحادثة افتعلها المأمون مع أبيه الإمام الرضاعليه السلام ولكن كحجاج ومحاججة لم يتمُّ في عهد الإسلام لصغير السن إلّا على يد الإمام الجوادعليه السلام، وهذا أمر عظيم حتّى صرَّح بأنَّه أعظم بركة كما مرَّ في الحديث الوارد عن أبيه الرضاعليه السلام.

ولذلك في بعض نعوت الإمام الجوادعليه السلام أنَّه شبيه بعيسى بن مريمعليه السلام، فكيف في سيرة الأنبياءعليهم السلام أحتج الله تعالى وتحدى البشرية لنبي من الأنبياء في صغر السن، فكذلك في دين الإسلام أحتج الله تعالى البشرية على يد الإمام الجوادعليه السلام.

روى مُحَمَّد المحمودي عن أبيه، قال: كنت واقفاً على رأس الإمام الرضاعليه السلام بطوس، فقال له بعض أصحابه: إنْ حدث حدث فإلى من؟ وإنَّما سأله عن الإمام من بعده حتّى يدين بطاعته والولاء له.

فقالعليه السلام له: **«إلى ابني أبي جعفر»**.

وكان الإمام أبو جعفرعليه السلام في مرحلة الطفولة، فقال له: إني استصغر سنّه!!.

فردَّ عليه الإمام هذهِ الشبهة قائلاً: إنَّ الله بعث عيسى بن مريم قائماً في دون السن التي يقوم فيها أبو جعفر[1].

فهذهِ بادرة أولى فاجئها الله عَزَّ وَجَلَّ لكل البشر وليسَ للمسلمين

(١) الدر النظيم: ٧٠٤؛ حياة الإمام الجواد للقرشي: ٤٩.

فقط بلْ حتّى للنصارى واليهود، وهذهِ منازلة إلهية مع البشر، حتّى حسده على ذلك بلْ وصلت إلى حدّ الوشاية بالإمام الجودعليه السلام من أبي داود السجستاني عند المعتصم.

فقد روى زرقان الصديق الحميم لأبي داود، قال: إنَّه رجع من عند المعتصم وهو مغتم، فقلت له في ذلك.

قال: إنَّ سارقاً أقرَّ على نفسه بالسرقة، وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحدّ عليه، فجمع لذلك، الفقهاء في مجلسه، وقد أحضر مُحَمَّد بن عليعليه السلام، فسألنا عن القطع في أي موضع يجب أنْ يقطع؟

فقلت: من الكرسوع[1] لقول الله في التيمم: ﴿فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيدِيكُمْ﴾[2]، واتفق معي على ذلك قوم.

وقال آخرون: بلْ يجب القطع من المرفق.

قال: وما الدليل على ذلك؟

قالوا: لأنَّ الله قال: ﴿وَأَيدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾[3].

قال: فالتفت إلى مُحَمَّد بن عليعليه السلام فقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟

قال قَدْ تكلَّم القوم فيه يا أمير المؤمنين.

قال: دعني مما تكلَّموا به، أي شيء عندك؟

---

(١) الكرسوع: طرف الزند الذي يلي الخنصر.
(٢) سورة النساء: الآية ٤٣.
(٣) سورة المائدة: الآية ٦.

قال اعفني عن هذا يا أمير المؤمنين.

قال: أقسمت عليك بالله لما أخبرتني بما عندك فيه.

فقال أمَّا إذا أقسمتَ عليَّ بالله أني أقول: أنَّهم أخطأوا فيه السُّنّة، فإنَّ القطع يجب أنْ يكون من مفصل أصول الأصابع فيُترك الكف.

قال: لِمَ؟

قال: قول رسول الله صلى الله عليه وآله: السجودُ على سبعة أعضاء: الوجه واليدين والركبتين والرجلين، فإذا قطعتْ يده من الكرسوع أو المرفق لم يبقَ لهُ يد يسجد عليها، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ المَسَاجِدَ لِلهِ﴾ يعني به هذهِ الأعضاء السبعة التي يسجد عليها ﴿فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾[1]، وما كان لله لم يقطع، قال: فأعجب المعتصم ذلك، فأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف.

قال زرقان: أنَّ ابا داود قال: صرتُ إلى المعتصم بعد ثالثة، فقال: إنَّ نصيحة أمير المؤمنين عليَّ واجبة، وأنا أكلمه بما أعلم أني أدخل به النار.

قلت: إذا جمع أمير المؤمنين في مجلسهِ فقهاء رعيته وعلماءهم لأمر واقع من أمور الدين فسألهم عن الحكم فيه، فاخبروه بما عندهم من الحكم في ذلك.

وقد حضر المجلس أهل بيته قوّاده ووزرائه وعتّابه وقد تسامع الناس بذلك من وراء بابه، ثم يترك أقاويلهم كلهم، لقولِ رجلٍ يقول شطر هذهِ

(١) سورة الجن: الآية ١٨.

الأمة بإمامته، ويدّعون أنَّه اولى منه بمقامه، ثم يحكم بحكمه دون حكم الفقهاء. قال فتغيَّر لونه، وأنتبه لما نبهته له، وقال: جزاك الله عن نصيحتك خيراً»[1].

(١) تفسير العياشي ج١: ٣١٩؛ بحار الأنوار ج٥٠: ٥؛ وسائل الشيعة ج١٨: ٤٩٠.

لماذا لُقّبا بالعسكريين عليهما السلام

لقب الإمام الهادي والإمام العسكري عليهما السلام بالعسكريين لأنهما كانا يعيشان في ظل إقامة جبرية عسكرية، فقد كانت سامراء آنذاك أكبر قاعدة عسكرية على وجه الأرض، حيث فرض على الإمامين العسكريين عليهما السلام الانتقال إليها والاقامة الجبرية فيها، والاستدعاء من قبل الدولة العباسية من المدينة المنورة إلى سامراء، فقد عاشا عليهما السلام تحت رقابة عسكرية خاصّة، وقد كانت سامراء في ذلك الوقت أكبر دولة عظمى على وجه الكرة الأرضية؛ لأنَّ حدودها كانت من المغرب إلى أعماق الصين، حيث أُبيدت دولة الأكاسرة، ودولة القياصرة، والدولة الرومية، وقد كانت تسمى بـ **(سُرَّ مَنْ رأى)** يعني تسر من رآها وذلك باعتبار أنَّ ملاحة الجو فيها كانت أكثر من بغداد، فألزم الإمامين العسكريين بفرض وإجبار وقهر من السلطة العباسية أنْ تقام عليهما الإقامة الجبرية في هذهِ القلعة أو القاعدة العسكرية.

وبعبارة عصرية أُخرى: أنَّ الإمامين العسكريين عليهما السلام كانا سجينين

عسكريين، وهذا من مفاخر هذين الإمامين العظيمين، ففي المصطلح السياسي أنَّ السجين العسكري يختلف عن السجين السياسي فضلاً عن السجين المدني.

أقسام السجين:

١ ـ **السجين المدني:** هو أنَّ تقوم الدولة بسجنه على أثر تهمة سواء كانت هذهِ التهمة صادقة أو باطلة ولكن لأجل أنْ تدعي عليه جرم مدني مثلاً.

٢ ـ السجين الجنائي : جنائية وهو الذي يسجن لقيامه بجنحة على غيره .

٣ ـ **السجين السياسي:** وأمَّا السجين السياسي فهو لم يرتكب أي مخالفة قانونية مدنية في نظر تلك الدولة، وإنَّما تسجنه لأجل موقفَه السياسي ويعبِّر عنه سجناء الرأي لخطورته السياسية بسبب آرائه وأفكاره على النظام السياسي على الدولة، وهذا النوع أخطر على الدولة من السجين الجنائي أو السجين المدني.

٤ ـ **السجين العسكري:** ويعبَّر عنه في الاصطلاح الحقوقي والقانوني والسياسي هو ذلك السجين الذي تستنفر قوى الدولة اتّجاهه، وتعبيء قوتها العسكرية مخافة منه، وهذا النوع هو أخطر من الأقسام السابقة؛ لأنَّه بين لحظة وأُخرى قدْ يقلب كل أعمدة وأركان النظام السياسي والدولة، ولأجل أنْ تتفادى الدولة خطورته لابدَّ أنْ تقيم عليه سجن عسكري، بحيث تجعله في قاعدة عسكرية قوية ولا تزج به في سجن مدني أو سجن

في أحد المدن التابعة لهذه الدولة، إذ لاتستطيع السيطرة عليه إلّا من خلال قوة عسكرية مسلحة، وهذا لا يتمُّ إلّا من خلال تلك القاعدة العسكرية.

فالسجين العسكري يعني أنَّ النظام السياسي يتوقع من ذلك السجين مباغتة أمنية عسكرية، وهذا يعني أنَّ لديه قدرةعلى قلب النظام بسرعة وفترة يسيرة.

وبعبارة أُخرى: السجين السياسي له قدرته ومعطياته ونفوذه وسيطرته على الوضع بشكل مرعب جداً.

سجن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام:

إذنْ لماذا كل هذا الاستنفار الأمني والعسكري من الدولة العباسية تّجاه الإمام الهادي والإمام الحسن العسكري عليهما السلام، بلْ ولم تكتفِ بذلك، كما سجنت جدهما موسى بن جعفر عليه السلام، حيث كان الإمام موسى بن جعفر عليه السلام سجيناً سياسياً، ولم يكن سجيناً عسكرياً، نعم تم نقله من سجن إلى سجن، حيث اعتقل عليه السلام في المدينة وقادوه إلى سجن البصرة ثم نقلوه إلى سجن بغداد، والغريب في ذلك أنَّ هارون غير الرشيد قدْ أتى إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله قبل أنْ يعتقل الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ليعتذر منه، حيث كان آنذاك في يثرب فسلَّم على النبي صلى الله عليه وآله وخاطبه قائلاً:

بأبي أنت وأمي يا رسول الله، إنِّي أعتذر إلك من أمر عزمت عليه إني أريد أنْ آخذ موسى بن جعفر عليه السلام فأحبسه لأني خشيت أنْ يلقي بين أمتك

حرباً يسفك فيها الدماء[١].

ولكن في المقابل نرى أنَّ الإمام الكاظم عليه السلام يشكر الله على استجابة دعائه حيث يقول عليه السلام: اللَّهُمَّ إنَّك تعلم إنِّي كنت أسألك أنْ تفرغني لعبادتك، اللَّهُمَّ وقد فعلت، فلكَ الحمد[٢].

وهكذا فعل ولده غير المأمون الخؤون العباسي مع الإمام علي الرضا عليه السلام، حيث سجن الإمام عليه السلام في مرو إجباراً له حتّى يقبل بولاية العهد، ومن الطبيعي أيضاً كان هذا السجن سجناً سياسياً وليسَ سجناً عسكرياً.

نعم، كانت هناك إقامة جبرية للإمام الرضا عليه السلام، ومن قبله كانت للإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام، ولكن هذهِ الإقامة الجبرية كانت في بيوتهم ولم تكن سجناً سياسياً، بحيث لا يستطيع الشيعة آنذاك أنْ يتصلوا بهما ـ الباقر والصادق عليهما السلام ـ، وكذلك الإمام الجواد عليه السلام كان في إقامة جبرية أيضاً. رغم أنَّهم لم يمارسو أي حركة سياسية معلنة، بلْ ولا في السطح الباطن الذي من خلاله ـ مثلاً تستطيع السلطة أنْ تدين أهل البيت عليهم السلام، أو تكشف خيوط معينة من التدبير لديهم، ولا يخفى أنَّهم كانوا يعيشون حياة مدنية وسلمية إلّا أنَّ السلطة دائماً تتوجَّس منهم خيفة، وهذا دليل على استشعارها مدى تمدد وتوسع قدرة وقوة أهل البيت عليهم السلام، ودليل على عبقريتهم في قيادة المجتمع آنذاك.

---

(١) بحار الأنوار ج١٧: ٢٩٦.
(٢) المناقب ج٢: ٣٧٩.

سيطرة الإمامين العسكريين على الساحة الإسلامية:

وهذا التعامل من الدولة العباسية مع الإمامين العسكريين عليهما السلام يدلُّ على أنَّ قدرة أهل البيت عليهم السلام وصلت إلى حدٍّ أنهما مسيطران على الساحة الإسلامية بشكل قوي جداً، وأعظم مما تقدَّم في آبائهم عليهم السلام. وهذا مؤشر وعلامة على إتساع قدرة وقوة أئمة أهل البيت عليهم السلام، أنَّ أتباع أهل البيت عليهم السلام قدْ بلغوا من النفوذ والانتشار والقدرة إلى درجة تختلف عما سبق من عهد أئمة أهل البيت عليهم السلام.

ومن المعلوم أنَّ ابن حنبل والبخاري ومسلم ويحيى بن أكثم كلهم كانوا في زمن الإمامين العسكريين عليهما السلام، ولكن الدولة العباسية لم يكن لديها أي تخوُّف من هؤلاء، إذنْ لماذا كل هذا التركيز والمراقبة على الإمامين العسكريين عليهما السلام؟.

لماذا هذا التصعيد:

لقد صعَّدت الدولة العباسية هذا التصعيد مع الإمامين العسكريين عليهما السلام بحيث جعلتهما سجينين عسكريين في أكبر قاعدة عسكرية على وجه الأرض يحرسها العسكر بكل قوة وتدبير واحتياط، ومن المعروف أنَّ مدينة سامراء فيها وحدات سكنية وأسواق، ولكن حول هذهِ الوحدات السكنية سور عسكري، ومع كل هذا قامت هذهِ الدولة بسجن الإمامين العسكريين لأكثر من مرَّة في سجن علي أوتامش[1] وهو سجن داخلي في

(١) الكافي ج١: ٥٠٨.

القلعة والقاعدة العسكرية لسامراء، بل لما جعلتهما عليهما السلام تحت الإقامة الجبرية في بيتهما الذي هو داخل هذا السور العسكري جعلت عليهما مراقبين أمنيين في داخل بيتهما عليهما السلام، وخصوصاً الإمام الحسن العسكري عليه السلام، فقد أوعز المعتمد خواصه بملازمة دار الإمام عليه السلام.

يقول أحمد بن عبيد بن خاقان[1]: لما اعتل ابن الرضا عليه السلام، بعث جعفر بن علي إلى أبي: أنَّ ابن الرضا عليه السلام قدْ اعتل فركب أبي من ساعته مبادراً إلى دار الخلافة، ثم رجع مستعجلاً ومعه خمسة نفر من خدم أمير المؤمنين، كلهم من ثقاته وخاصته فمنهم نحرير، وأمرهم بلزوم دار الحسن بن علي، وتعرُّف خبره وحاله .... [2].

ولم تكتف السلطة بذلك بل فرضت الحصار الاقتصادي على الإمامين أيضاً.

فهذا الاستنفار الأمني لم يكن صدفةً أو جزافاً بلْ له أسبابه الخاصّة، بلْ قاموا بإرعاب الإمامين عليهما السلام بإجراء استعراض عسكري في محضرهما وعُدَّ بتسعين ألف فارس، حيث استعرض جيش المتوكل أمام الإمام الهادي عليه السلام، حيث استدعاه المتوكِّل وقال له: استحضرتك لنظارة خيولي، وقد كان أمرهم أنْ يلبسوا القجافيق ويحملوا الأسلحة، وقد عرضوا بأحسن زينة وأتمَّ عِدَّة وأعظم هيبة، وكان غرضه أنْ يكسر قلب كل من

(١) وهو عامل السلطان يومئذ على الخراج والضياع بكورة قم وكان من أنصب خلق الله وأشدَّهم عداووة لهم.
(٢) كمال الدين ج١: ٥١.

يخرج عليه وكان خوفه من أبي الحسن أنْ يأمر أحداً من أهل بيته أنْ يخرج على الخليفة. وهذا نظير المناورات العسكرية الحالية التي تجريها الدول لأجل وغرض الردع الأمني من هجوم دول أخرى .

فقال له أبو الحسن عليه السلام وهل أعرض عليك عسكري؟.

قال: نعم، فدعا الله سبحانه فإذا بين السماء والأرض والمشرق والمغرب ملائكة الله مدججون فغشي على الخليفة، فلما أفاق قال أبو الحسن: نحن لا ننافسكم في الدنيا، نحن مشتغلون بأمر الآخرة فلا عليك شيء مما تظن[1].

ولو نُدقِّق في تحليل هذهِ القضية أكثر، حيث أنَّ الدولة العباسية جعلت هذهِ القاعدة العسكرية العظمى عاصمة لها، الآن في زماننا هذا متى يجعل رئيس الجمهورية أو الملك أو رئيس الوزراء عاصمته قاعدةِ عسكرية لا عاصمة مدنية؛ إذ الحالة الطبيعية أنَّ عاصمة الدولة تكون عاصمة مدنية لاعسكرية، وإنما تكون العاصمة عسكرية حينما يرى ويتخوف الحاكم من تقوِّض كيانه، بحيث لا يستطيع أنْ يسيطر على التغيير الآتي بحيث لا يوجد هناك أي استقرار أمني، حيث لاتنفع كل قدراته العسكرية والاستخباراتية والأمنية ، والخلفاء العباسيون في عهد العسكريين عليهما السلام تخندقوا في قاعدة عسكرية في سامراء وجعلوها عاصمة لدولتهم بدلاً من بغداد، وهذا دليل عل مدى تطاول نفوذ وقدرة إمامة العسكريين عليهما السلام وأنهما أصحاب القدرة في دين الله لا بآليات عسكرية ولا بآليات تنظيمية، بلْ بآليات نظم إلهي.

(١) بحار الأنوار ٥٠: ١٥٨.

أسباب هذا الاستنفار:

السبب الأوّل: إنَّ أئمة أهل البيت عليهم السلام لهم وجودهم العظيم المتجذر في الدين وفي الأمَّة الإسلامية من زمن امير المؤمنين عليه السلام إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وهو السبب لما نراه من توجس السلطة الأموية أو السلطة العباسية الخيفة من أهل البيت عليهم السلام، وبمقتضى توازن القدرة أنَّ أي دولة وأي نظام سياسي يعي المنافس الحقيقي له، ويعي من هو ذو خطر مُحدق عليه، ونرى دائماً أنَّ صاحب القوة يعي من يصارعه أو من ينافسه أو من يمكن له القدرة أنْ يدافعه عن موقعيته.

نعم، يأتي ـ بعد كل هذه المعطيات والشواهد التاريخية مترجم من كتب الرجال عند المذاهب الإسلامية الأُخرى لا يعطي في ترجمته الإنصاف عندما يترجم حياة الإمام الرضا أو الجود أو الهادي أو العسكري عليهم السلام ولكن هل هذا يطمس الحقيقة؟!.

إنَّ تعتيمهم على تألُّق وقممية وأوج شخصيات أهل البيت عليهم السلام، وخصوصاً من الإمام الكاظم عليه السلام إلى الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وإخفاء عظمة شخصيتهم من قبل كثير من الكتّاب المسلمين تبيِّن مدى تخوفهم منهم، ومهما حاولوا لا يمكن لهم أنْ يطمسوا حقيقتهم؛ لأنَّ حقيقتهم عليهم السلام وضّاءة وقّادة وتشعّ دائماً بالحقيقة، وإلّا فلماذا لم يستدعِ المأمون غير الإمام الرضا عليه السلام وكذلك باقي الأئمة عليهم السلام، لماذا لم يستدعِ شخصية غير الأئمة عليهم السلام من بني هاشم أو من قريش أو من فقهاء المسلمين من المذاهب الأُخرى، ولكن نراه يتحسس من الإمام الرضا عليه السلام، فهل لدى الإمام تنظيمات سياسية يرعاها أم هي إمامة قرآنية ناخرة في عقيدة المسلمين والقرآن، ودائماً هذهِ

الإمامة تنبض بقنوات وجذور قوة وقدرة يعيها المسلمون، ويتعاطفون معها في كل آن ولحظة إذا أبعد عنهم إرهاب السلطات الحاكمة.

بيعة الأئمة عليهم السلام:

ولو نلاحظ مبايعة المسلمين لعلي بن أبي طالب عليه السلام واختلافها عن مبايعة باقي الخلفاء الثلاثة تماماً، في اختصاصها بكونها بيعة جماهيرية عارمة بلا أنْ يلجئهم أي أحد عليها، ولم تكن محصورة في ضمن لوبيات أو جماعات خاصّة، بلْ بيعة اندفاعية من شرايح عموم المسلمين من النخب ومن القاعدة الجماهيرية العامّة، وهذا إنَّما حدث بسبب داعوية وباعثية تعاليم القرآن للمسلمين وليسَ بالإرهاب أو الخوف.

وهكذا كانت بيعة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، فقد كانت بيعته عليه السلام باندفاع ذاتي من المسلمين، ومن المهاجرين والأنصار الذين كانوا أكثرهم آنذاك، ومن دون أي إرغام أو إرهاب وهم يعلمون أنَّ الحسن هو بن الخليفة السابق علي عليهما السلام.

ولكن في المقابل نرى أنَّ المهاجرين والأنصار استنكروا على معاوية أشدّ الاستنكار عندما عقد البيعة لولده يزيد من بعده تحت وطأة الإرهاب بالسيف والقتل أو التطميع بالأموال، واعترضوا عليه بأنَّه كيف تجعل الخلافة في الابن في حين لم يكن هذا الاعتراض موجوداً في بيعة الإمام الحسن عليه السلام بعد أبيه أمير المؤمنين عليه السلام.

حيث روي «**ولما قتل أبوه علي عليهما السلام، بايعه أكثر من أربعين ألفاً، كلهم قدْ كانوا بايعوا أباه علياً قبل موته على الموت، وكانوا أطوع للحسن وأحب**

فيه فبقي نحواً من أربعة أشهر خليفة بالعراق وما وراءها من خراسان»[١].

وهذهِ ظاهرة حادثة وملحمة تاريخية عظيمة تدلُّ على مدى الرصيد الموجود لأهل البيت عليهم السلام في ثقافة المسلمين وعقيدة المؤمنين.

وهكذا أيضاً كانت بيعة الإمام الحسين عليه السلام بعد هلاك معاوية، فإنَّ الكتب التي أتت لسيد الشهداء عليه السلام كانت من العراق والشام فضلاً عن اليمن وأهل مكّة والمدينة، وهذا ما صرَّح به الإمام الحسين عليه السلام خلال حديثه مع الحر بن يزيد الرياحي[٢].

الطائفية والمذهبية:

إذنْ لماذا كل هذا التحسُّس من السلطة الأموية والعباسية تّجاه أئمة أهل البيت عليهم السلام؟!؛ لأنَّ المنافس والرقيب الخطير الذي يستخدم أسلُوب مدني شفّاف وبلا أي إمكانيات عسكرية وأمنية وفي قبضته القاعدة الإسلامية هم أئمة أهل البيت عليهم السلام، من الإمام السجّاد عليه السلام إلى أنْ وصلت النوبة إلى الإمام الجواد عليه السلام وهو في ريعان عمره الشريف، حيث أقامت عليه السلطة العباسية الإقامة الجبرية في بغداد بعد استدعائه من المدينة المنوّرة. وهكذا ولديه العسكريين عليهما السلام.

وهذا يدلُّ على قوة التعاطف من جميع شرايح المسلمين مع أئمة أهل البيت عليهم السلام، ولذلك لو خُلي المسلمون وأنفسهم دون السلطات والأنظمة

---

(١) الاستيعاب، ج١: ٣٨٥.

(٢) الإمام الحسن بن علي شجاعة قيادة وحكمة سياسية: ٥٤.

السياسية لما كانت هناك طائفية ولا مذهبية، بلْ لكان هناك فقط وفقط حب وولاء أهل البيت عليهم السلام وانتصاف لحقوق جميع الناس وجميع البشر وعدل بينهم بالسوية.

فإنَّ الذي يفتعل المسرحيات الطائفية والمذهبية هي السلطات والحكّام؛ لأجل أنْ يبقى استئثارهم بالثروات والقوة واستبدادهم بالحكم ؛ بينما أهل البيت عليهم السلام ليست دعوتهم لأنفسهم بلْ إلى اسرداد حقوق واستحقاقات الطبقات المحرومة من شعوب المسلمين بل من البشرية أجمع، ولم تكن لديهم فرعونية، ولا دكتاتورية، ولا استبداد، ولا أنانية، بلْ هم ترابيون وذو نبل وقيم وخلوص ونزاهة وطهارة، وعِفَّة علم بكيفية تدبير العدالة في المجتمع وازدهار الأمَّة الإسلامية فهم أصحاب إيثار في فعالية نظام حاكميتهم لا الاستئثار بالاموال والثروات وجعل الحكم وسيلة لذلك كما في نظام حكم غيرهم ، وهذا ماتشير إليه سورة الإنسان والدهر وسر نزولها في شأن علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

ولكن السلطات الظالمة والحكّام الظلمة هم من يفتعلون الأزمات الطائفية والمذهبية ويخدعون فيها على الشعوب الإسلامية بتصوير أن المواجهة مذهبية وبين الأتباع وبين طوائف ، فيستغفلون جماهير الناس عن منقذها الحقيقي وعن مخلصها من أيدي المستأثرين خوفاً على مآربهم الشخصية.

إذنْ المنقذ الحقيقي للشعوب الإسلامية وللمشروع الإسلامي هم أئمة أهل البيت عليهم السلام، وهذا ليسَ تعصباً لذواتهم الشخصية عليهم السلام بلْ حرصاً على المشروع الإلهي لكي يقام في كل بقاع الكرة الأرضية كما نص وصرح به القرآن الكريم أن فيء الأرض وثرواتها لابد أن يكون بيد الله تعالى ثم بيد

الرسول صلى الله عليه وآله ثم بيد قربى الرسول أهل البيت عليهم السلام كي لاتكون ثروات الأرض دولة تداول ويتداولها الأغنياء المستأثرين ،حيث يقول تعالى ﴿مَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾(١).

خطاب للأخوة الإسماعيلية:

ومن هنا نُخاطب أُخوتنا من الطائفة الإسماعيلية بالسؤال التالي : لماذا السلطة العباسية كانت تتحسَّس من الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ولم تتحسَّس من ولد إسماعيل عليه السلام، مع أنَّ الإمام الكاظم عليه السلام لم يكن صاحب حركات سريّة كالإسماعيلية والخطابية ومع ذلك كانت السلطة العباسية أخوف ما تخاف من الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وقد كانت هناك مراقبة شديدة من قبل السلطة الهارونية العباسية، وكانت هناك تقارير سرية ترفع من المدينة المنورة إلى بغداد حول الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وكانت أحد التقارير من المدينة المنورة إلى بغداد حول الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، من المخبر السري التي ترفع للسلطة مباشرة، فقد كانت تقارير ترفع إلى الخليفة العباسي مباشرة وبدون واسطة، وهناك تقارير تأتي إليه من خلال الحاشية والحكومة كما هو المتعارف اليوم من وزارتي الدفاع والداخلية لو صحَّ التعبير.

هنا المخبر السري قال للرشيد العباسي:

---

(١) سورة الحشر: الآية ٧.

«أمَا علمت في الأرض خليفتين يجبى إليهما الخراج؟ فقال الرشيد: ويلك ومَن؟ قال: موسى بن جعفر» وأظهر أسراره فقبض عليه[1] ـ أي الإمام عليه السلام ـ

وهذهِ العيون السرية كانت تراقب جميع الأئمة عليهم السلام من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وإلى قائم آل مُحَمَّد صلى الله عليه وآله، إذنْ لماذا كل هذا التحسُّس وكانت هناك فرق أُخرى وفقهاء من المذاهب الأُخرى، وهذا الخطاب يوجَّه إلى جميع الفرق الشيعية الأُخرى غير الاثنى عشرية.

وهذا أكبر برهان ودليل على أنَّ منطقة النفوذ عند هؤلاء الأئمة الاثني عشر عليهم السلام ومصدر قوتهم ونفوذهم هي في الحقيقة دين الله وتعاليم القرآن، وأنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ مكَّنهم من خلافة الأرض بأسباب لدُنيّة.

الإمام المعصوم والتخطيط السياسي:

وهناك أمر مهم لابدَّ أنْ نلتفت إليه، وهو أنَّ الأئمة عليهم السلام من الإمام السجّاد عليه السلام إلى الإمام الجواد عليه السلام لم يكونوا واهنين ولامستكينين ولامتفرّجين على ما يجري ـ والعياذ بالله ـ ولم يكن دورهم مقتصراً على الإنشاء التعليمي والتربوي فقط، نعم هذا المسار الثقافي والتعليمي والتربوي من أعظم المسارات الاستراتيجية وأعظم من المسار السياسي والعسكري، وهذا لا نقاش فيه؛ لأنَّ تغيير هوية الشعوب أعظم من تغيير الأنظمة السياسية للشعوب؛ لأنَّه إذا أبدلت هوية الشعوبة فسوف تفرز وتولِّد أنظمة جديدة

(١) الوافي ج٣: ٨١٢؛ الكافي ج١: ٤٨٦؛ اختيارمعرفة الرجال (رجال الكشي) :٢٧٧ الحديث ٤٧٨ .

تلقائياً وتكون تابعة لتلك الهوية الثقافية الجديدة.

فالتعليم التربوي والعلمي هو المشروع الأعظم عند أهل البيت عليهم السلام كما يؤكِّد عليه مستفيض أحاديث التقية، وإنَّما الكلام في شيء آخر، وهو أنَّه هل هذا المسار التعليمي هو المسار الوحيد أم أنَّ هناك مسارات أُخرى لأئمة أهل البيت عليهم السلام؟!.

إذ لو كان مسار أهل البيت عليهم السلام منحصر في هذا المسار لما وصلت النتيجة في زمن الإمامين العسكريين عليهما السلام إلى هذا الحصار والإقامة الجبرية والسجن. وليسَ من الضروري أنْ يكون الإمام المعصوم عليه السلام على رأس الهرم الجهادي، وأنْ يتواصل مع القاعدة من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام مباشرة وينفتح بشكل مكشوف وعياني مع الجماهير المؤمنة مع وجود كل هذهِ العيون السرية والجواسيس التي تعمل مع السلطة الحاكمة؛ لأنَّ هذا خطأ أمني، ولكنهم عليهم السلام كانوا رعاة في محل فوقي لمنظومة مجموع كل المسارات، بحيث أنَّ السلطة العباسية تلمس بكل وضوح أنَّ المسارات الأُخرى خيوط أزمتها بيد الإمام الهادي عليه السلام وليسَ بيد بن حنبل ولا بيد يحيى بن أكثم ولا بيد باقي علماء مذاهب المسلمين الأُخرى؛ ولذلك نرى دائماً هناك حالة من القمع السياسي والأمني والعسكري لأئمة أهل البيت عليهم السلام مقابل علماء المذاهب الإسلامية الأُخرى. ولذلك نرى أئمة أهل البيت عليهم السلام في كل الأزمنة تحت مطرقة القمع السياسي والأمني والاستخباراتي، ولكن القضية أخذت منحىً عسكرياً في زمن الإمامين العسكريين عليهما السلام؛ لأنَّ القدرة لديهم والتَمرّكُز والنفوذ في قلوب المسلمين والمؤمنين بلغ ذروته بخلاف بقية علماء المذاهب الأُخرى.

فقد كانت مسيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام في العلن مسيرة روحية، مسيرة ثقافية، مسيرة دينية، مسيرة تربوية، مسيرة معنوية، وهذا هو المسار الأعظم لهم بلا ريب، لكن بقية المسارات كان توازنها وتعادلها تحت تأثيرهم بنحو غير مباشر ويوجهونها ويراقبونها عن بعد وبلطافة تامّة، ولو لم تكن أزمة خيوطها بيدهم عليهم السلام فقط دون غيرهم؛ لأنَّ بيدهم أَزِمَّة أمور المسلمين، فهل هذا أتى من فراغ؟!.

البعد العملي لأهل البيت عليهم السلام:

فإنَّ هناك بحوثاً استراتيجية، وبحوثاً تاريخية، وبحوثاً حضارية، تدلُّ بكل وضوح على كيفية ماكان يقوم به أئمة أهل البيت عليهم السلام ، وماذا كان مشروعهم، والمعروف أنَّ الفعل مجمل فلابدَّ أنْ يوضّح دلالته بالألفاظ، لكن العكس في بعض موارد تكون طوائف الألفاظ وطوائف الروايات أو البيانات قدْ لا توضّح إلّا بالعمل بالسيرة العملية، فمثلاً قوله صلى الله عليه وآله صلوا كما رأيتموني أصلي . وفي رواية أنَّ الإمام الباقر عليه السلام، قال لزرارة ألا أعلمك كيف وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله.

وكذلك الصادق عليه السلام حينما يقول لحماد بن عيسى أتحسن الصلاة، وغير ذلك من الشواهد الأُخرى، وهذهِ قرينة واضحة على ما هو المراد من وصاياهم في كيفية العمل، فلابدَّ لنا أنْ نلتفت، وأنْ نقرأ السيرة لأهل البيت عليهم السلام قراءة عميقة من كل جوانبها ومعطياتها وبموازنة الشواهد المختلفة فتكون بذلك أكبر شارح لكلماتهم ووصاياهم اللفظية، فعندما يأتي المخبر السري لهارون العباسي ويذكر القدرة المالية للإمام موسى بن

جعفر عليه السلام فقد كانوا يشعرون من خلال هذا أنَّ الإمام عليه السلام لديه قدرة على إزالة النظام العباسي لو أُتيح له المجال أكثر، وهي الدوافع خلف إعتقاله ونقله من سجن إلى آخر.

وهكذا بالنسبة للإمامين العسكريين عليهما السلام، نعم قدْ يقول قائل وبحسب النظرة السطحية الظاهرية أنَّ الإمامين العسكريين عليهما السلام لم يبلغوا في الاشتهار إلى درجة آبائهم كالسجّاد والباقر والصادق عليهم السلام، فكيف يكون هذا التوجُّس والخوف منهما عليهما السلام بحيث كان سجنهم عسكرياً ولم يكن سياسياً؟.

وجواب ذلك: هو أنَّ الجسم الذي كانوا يبنونه أئمة أهل البيت عليهم السلام في الأمَّة الإسلامية ليسَ جسماً ضعيفاً، خاوياً، هجيناً، ولكن جسماً ينطوي ويبتني على العضلات والقدرات بشكل كبير، وقد لاحظت ورصدت الدولة العباسية في زمن الهادي وولده العسكري عليهما السلام أنَّ هناك خطورة عليها وقد تصاعدت وتفاقمت هذهِ الخطورة بحيث لا يمكن السكوت عليها، ولذلك جعلوهم في سجن عسكري وفي قاعدة عسكرية عُظمى. وهذا دليل على القلق الأمني والعسكري الذي كانت تعيشه الدولة العباسية آنذاك خوفاً ورعباً من قدرة تمادي وتمدد نفوذ أئمة أهل البيت عليهم السلام. وهو السبب وراء قيامهم بسجن الهادي أو ولده العسكري عليه السلام في سجن انفرادي داخل أكبر قاعدة عسكرية، بلْ كانت هناك عدسات مراقبة من علماء وفقهاء البلاط العباسي ومن خبراء أمنيين وكانوا يعيشون معه في هذا السجن الانفرادي ولم يتركوه لحظة واحدة، وهذا يعني أنَّ الدولة العباسية لم تكن مطمئنة من السيطرة على الوضع حتّى مع سجن

الإمامين العسكريين عليهما السلام، بلْ أرادوا أنْ يسيطروا حتّى على أنفاسهم صلوات الله عليهم خوفاً من الاتصال غير المرئي قدْ يُخفى عليهم ملاحقته، وأنَّ مركز الإدارة ومركز تدبير عمليات خطيرة في العالم الإسلامي يصدر من الهادي أو العسكري عليهما السلام، بحيث كان الاتصال والتعامل والتعاطي بين الإمامين العسكريين عليهما السلام وأتباع مدرسة أهل البيت بطريقة مشفَّرة وأمنية بالغة الخفاء على السلطة وأزلامها.

الخطة الأمنية للإمامين العسكريين عليهما السلام:

ومع كل هذهِ المراقبة العسكرية والمراقبة الشديدة بدأ العسكري عليه السلام بالتصعيد من مستوى التقية أي من قدراته الأمنية مع أتباعه في كل المدن الإسلامية من نيشابور وخراسان وقم ومصر والمدينة وبغداد، بلْ حتّى الشام، وأخذ عليه السلام يديرها بشكل دقيق وحذر مع إعلان الاستنفار العسكري والسياسي والاستخباراتي من قبل الدولة العباسية، فما هذهِ القدرة العلمية والعقلية الأمنية التي عند أهل البيت عليهم السلام، بحيث تفوق القدرة العصرية في زمانهم للطرف الآخر.

روى علي بن جعفر، عن حلبي، قال: اجتمعنا بالعسكر، وترصدنا لأبي مُحَمَّد عليه السلام يوم ركوبه، فخرج توقيعه: **«ألا لا يسلمن عليَّ أحد، ولا يشير إليَّ بيده، ولا يومئ، فإنكم لا تأمنون على أنفسكم»**، قال: وإلى جانبي شاب، فقلتُ: من أين أنت؟ قال: من المدينة، قلت ما تصنع ههنا؟ قال: اختلفوا عندنا في أبي مُحَمَّد عليه السلام، فجئت لأراه وأسمع منه أو أرى منه دلالة ليسكن قلبي وإني لولد أبي ذر الغفاري.

فبينما نحن كذلك إذْ خرج أبو مُحَمَّدعليه السلام مع خادم له، فلما حاذانا نظر إلى الشاب بجنبي، فقا: **«أغفاريٌّ أنت؟»** قال: نعم، قال: **«ما فعلت أمك حمدوية؟»** فقال: صالحة، ومرَّ، فقلت للشاب: أكنت رأيته قط وعرفته بوجهه قبل اليوم؟ قال: لا، قلت: فينفعك هذا؟ قال: ودون هذا[1].

ولو دقَّقنا في هذهِ الرواية فنرى الإمامعليه السلام قدْ منع الناس من التسليم عليه خوفاً على شيعته هذا أمر.

والأمر الثاني كما تقول الرواية **«فلما حاذانا»** فهو لم يجلس معهم ولم يصاحبهم ولكن كان هذا الشاب يريد دليل وبرهان على إمامة الحسن العسكريعليه السلام، والإمامعليه السلام لم يعطه أكثر مما يريد هذا الشاب خوفاً على السائل فانظر إلى الدِّقَّة والحذر الأمني الشديد، بجملتين لا أكثر**«أغفاريٌّ أنت»**، **«ما فعلت أمك حمدوية»** ـ بهذه المعلومات الخفية أرشد الإمام الشاب إلى طريق الهداية.

وهذا إنَّما يدلُّ على قدرة الحس أو الجانب الأمني الذي كان يتمتع به الحسن العسكريعليه السلام وهناك رواية أُخرى تبيِّن لنا كيفية إيصال الأوامر من العسكريعليه السلام إلى قادة الشيعة.

فقد روى أبو هاشم الجعفري، عن داود بن الأسود، وَقادِ حمام أبي مُحَمَّدعليه السلام قال: دعاني سيدي أبو مُحَمَّد، فدفع إليَّ خشبة، كأنَّها رجل باب مدورة طويلة، ملءَ الكف فقال: **«صِرْ بهذهِ الخشبة إلى العُمَري»**، فمضيت، فلما صرت إلى بعض الطريق عرض لي سقّاءُ معه بغل، فزاحمني البغل على

(١) بحار الأنوار ج٥٠: ٢٦٩ نقلاً عن الخرائج.

الطريق، فناداني السقّاء صح على البغل، فرفست الخشبة التي كانت معي، فضربتُ البغلَ، فانشقت، فنظرت إلى كسرها فإذا فيها كُتبٌ، فبادرت سريعاً فرددت الخشبةَ إلى كُمّي، فجعل السقّاء يناديني ويشتمني، ويشتم صاحبي، فلما دنوت من الدار راجعاً أستقبلني عيسى الخادم عند الباب، فقال: يقول لك مولاي: **«لم ضربت البغلَ، وكسرت رجلَ الباب»**. فقلتُ له: يا سيدي! لم أعلم ما في رجل الباب، فقال: **«ولم احتجت أنْ تعمل عملاً تحتاج أنْ تعتذر منه، إياك بعدها أنْ تعودَ إلى مثلها، وإذا سمعت لنا شاتماً فامض لسبيلك التي أُمرتَ بها، وإياك أنْ تجاوب من يشتمنا، أو تعرِفه من أنت، فإننا ببلد سوء، ومصر سوء، وامضِ في طريقك، فإنَّ أخبارك وأحوالك ترد إلينا، فاعلم ذلك»**[1].

فترى آليات الاتصال والتواصل بينه عليه السلام وبين وكلائه ومن ثم مع أتباعه مستمرة رغم شدة الرقابة فلم يكن عليه السلام ساكناً مستكيناً عن قيادته وإداراته للأمور عبر طرق أمنية مشفّرة ومعقدة وعجيبة.

قوة تدبير الإمام الصادق عليه السلام الأمنية:

ولو نلاحظ دور الإمام الصادق عليه السلام كيف أسس أكبر جامعة أو حوزة علمية في العالم الإسلامي وقد كانت تحاربه أكبر دولة عظمى أنذاك، وقد كانوا يشاغبون ويعرقلون ويعاوقون أمنياً في أزقة المدينة في يوميات وساعات حياة الصادق عليه السلام، ومع كل هذا لم يستطيعوا أنْ يفشِّلوا هذا المشروع الذي هو أحد مشاريع الإمام الصادق عليه السلام.

(١) المناقب لابن شهرشوب ج٤: ٤٢٧.

وقد كانت الدولة العباسية في زمن الصادق عليه السلام جعلت الوالي أو المحافظ على المدينة المنورة داود بن علي بن عبدالله بن العباس وهو من أهم أعمدة الدولة العباسية وهو عمّ السفّاح العباسي، وضمَّ إليه مكّة واليمن واليمامة، ولما دخل المدينة هدّد الناس، وقال في خطبته:

«أيُّها الناس أغركم الإمهال حتّى حسبتموه الإهمال، هيهات منكم وكيف بكم، والسوط كفى والسيف مشهراً»[1].

وهذهِ رسالة واضحة إلى الشخصية التي يتخوّفون منها بني العباس وكان هذا الوالي العقل المدبِّر للدولة العباسية وأحد مؤسسيها، ولا أحد يضاهيه في الدهاء والإرهاب، فجعلوه محافظاً ولم يجعلوه وزيراً في العاصمة العباسية بلْ جعلوه محافظاً وفي المدينة المنورة لأسباب أمنية خوفاً من أي قطب مناوئ للدولة العباسية، وهل كان للدولة العباسية مناوئ لهم غير الإمام جعفر بن مُحمَّد الصادق عليه السلام.

ورغم شيطنته وأخطبوطيته، ورغم دهائه وإرهابه لم يستطع أنْ يعاوق ويعرقل ويعطل قدرة الصادق عليه السلام عن تأسيس هذهِ الجامعة العالمية الكبرى، بلْ كان صلوات الله عليه يصرِّح بتعاليم مناهضة بعدم نصرة الظالم، من قبيل قوله عليه السلام: **«العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ثلاثتهم»**[2].

وإن كان ذلك بإسلوب الحرب الباردة.

---

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ج١: ١٣٩.
(٢) الكافي ج٢: ٣٣٣.

وكقوله عليه السلام: «من عذَرَ ظالماً بظلمه سلَّط الله عليه من يظلمه، فإذا دعا لم يستجب له ولم يأجره الله على ظلامته»[١].

وقد وقعت في فترة حياته عليه السلام ثلاث أحداث سياسية خطيرة في حياة الأمَّة وإمامها جعفر بن مُحَمَّد عليه السلام وهي: ثورة زيد الشهيد (١٢١هـ)، وسقوط الدولة الأموية (١٣٢هـ)، وثورة مُحَمَّد بن عبدالله بن الحسن صاحب النفس الزكية (١٤٥هـ).

في حين كان مالك بن أنس يحظى بالتقدير والاحترام من السلطة، بلْ أعلن الناطق باسم العباسيين في المدينة: **«ألا لا يفتي الناس إلّا مالك بن أنس وابن أبي ذئب»**[٢]، وفي المقابل أمر المنصور بإحراق بيت الإمام عليه السلام.

فعن المفضل بن عمر قال: وجّه أبو جعفر المنصور إلى الحسن بن زيد وهو واليه على الحرمين أنْ أحرق على جعفر بن مُحَمَّد داره، فألقى النار في دار أبي عبدالله فأخذت النار في الباب والدهليز، فخرج أبو عبدالله عليه السلام يتخطى النار ويمشي فيها ويقول: أنا ابن أعراق الثرى أنا ابن إبراهيم خليل الله عليه السلام[٣].

رَسَل الإمام الصادق عليه السلام:

وفي نفس هذهِ المرحلة العصيبة بعث الإمام الصادق عليه السلام رسله إلى الجزائر وتونس والمغرب وليبيا يدعوهم إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فهناك

(١) المصدر السابق: ٣٣٤.
(٢) وفيّاة الأعيان ج٤: ١٣٥؛ تنوير الحوالك على موطأ مالك.
(٣) الكافي ج١: ٤٧٣.

قبيلة تسمى قبيلة كتامى وهي من القبائل الكبيرة الضخمة المنتشرة وإلى الآن بعض أبناء هذهِ القبيلة يتبعون مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وهذا الأمر موجود في كتابات تأريخية لكتاب جزائريين قدامى.

فلم يستطع هذا المحافظ أو الوالي ولا غيره أنْ يعرقل ويعطّل ويوهن الصادق عليه السلام عن مهامه الإلهية. وكذا في العراق كان عنده مشروع علمي كبير أسسه في مسجد الكوفة.

هذا كله في جوانب، وفي جانب آخر كانت خيوط التيارات العقائدية والسياسية في العراق وإيران وجملة كثيرة من البلدان تدار من قبله بشكل وبآخر وبدرجة ونسبة ومراتب مختلفة مع إطلاع محيط شامل على الأوضاع في البيئات المختلفة للعالم الإسلامي.

الإمام الهادي عليه السلام قائد لا تهزه العواصف

مع كل هذه المضايقات العسكرية التي كانت حول الهادي عليه السلام فلم يشغله هذا عن مهامه كإمام لأمّته، بلْ له نشاط بركاني متفجِّر في ملفات عديدة، بلْ بقي يدير شوؤن الأمة وأتباعه علمياً وتربوياً ونفسياً وأخلاقياً وأمنياً، ولو يفرض أن قائداً عليه كل هذهِ المضايقات العسكرية والأمنية والسياسية والاقتصادية، بلْ الإعلامية العلمية فسوف نراه يعيش في حالة إرباك وتشتت في أفكاره وأعماله، وبالتالي سوف يصبح لديه نوعَ من الوهن والاستكانة والنكول والجمود واليأس، في حين لانراه ولانشاهده عند الهادي عليه السلام رغم كثرة المحن والشدائد والفتن التي قامت بها السلطة العباسية في مواجهته فضلاً عن باقي أئمة البيت عليهم السلام، ومع كل ذلك إدارته عليه السلام وتدبيره لما يحدث في الأمة والمؤمنين من حوادث وإهتزازات فيما بينهم كما في قضية الفضل بن شاذان، حيث قام بفتنة عقائدية مع أنَّه من كبار الصحابة الأجلاء ولكن لكل جواد كبوة، حيث حدثت هذهِ الفتنة الخاطئة في نيشابور وهنا عالج الإمام عليه السلام بتدبيره وسياسته هذهِ القضية فانقلبت إلى صالحة عليه السلام، وهذ القضية مذكورة بشكل مفصَّل في كتاب رجال الكشّي.

وموقف الحسن العسكري عليه السلام عندما ألَّف الفيلسوف إسحاق الكندي

كتاباً أسماه (تناقض القرآن) وأحدث في ذلك الوقت نوعاً من الإرباك في العالم الإسلامي ولم يتمكن أحد من ردّه إلّا الإمام العسكري عليه السلام بل الفيلسوف الكندي نفسه وجدها في ورطة من امكانية التخلص منها، وهذهِ قضية ملحمية خطيرة في معرفة معارف علوم القرآن ولكنه عليه السلام قام بردّ هذا الفيلسوف بإرسال الجواب عن طريق أحد تلامذته، وقال الكندي في حينها: **«ما كان ليخرج مثل هذا إلّا من ذلك البيت ...»** ويقصد به بيت الإمام العسكري عليه السلام، فقام الكندي بحرق كتابه فأتلفه[1].

وحدثت قضية أخرى في سامراء وكان العسكري عليه السلام في سجن بني العباس، وهي قضية الراهب الذي كان يحمل عظم أحد الأنبياء وكلما مدَّ يده إلى السماء هطلت بالمطر، فجاء الإمام عليه السلام وكشف زيف هذا الراهب[2].

بعدما أرسل إليه المعتمد وكان في سجنه وقال له: أدرك أمَّة جدك رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أنْ يهلكوا.

مع أنَّ خلفاء بني العباس أعداء يحملون الحقد والكراهة تّجاه أهل البيت عليهم السلام وكانوا لا يطمئنون ولا يرجعون في أي نازلة تدهم الأمة والدين وفي إقامة صدع الرأب للأمَّة الإسلامية إلى علماء مذاهب المدارس الإسلامية الأُخرى، ولذلك نرى أي فتنة أو إثارة خطيرة أو مرافعة قضائية كبيرة إذْ حدثت عند خلفاء بني أمية أو بني العباس لا يستنجدون بغير أهل البيت عليهم السلام، بلْ يستنجدون بالقطب المعادي لهم؛ لأنهم يعلمون جيداً أنَّ هذا القطب المعادي له مبدأ وليسَ إنفلاتي.

---

(١) المناقب ج٤: ٤٢٤.

(٢) المصدر السابق.

مثلا إذا لاحظنا الأزمة الاقتصادية التي عصفت بالأُمَّة الإسلامية في المجال النقدي في زمن الإمام الباقر عليه السلام، وكان عبد الملك بن مروان من ألدّ أعداء الباقر عليه السلام ولكنه لم يستطع أنْ يلجأ إلى غير الإمام عليه السلام، وقد أعطى الباقر عليه السلام الحلّ الاقتصادي لذلك في لحظات، بينما نرى اليوم الأزمة المالية الاقتصادية في العالم إلى الآن لم يرقوا إلى علاجها، بلْ مجرد وعود لا أكثر وقد دخلنا في السنة الثامنة أو التاسعة.

إذنْ ينبغي علينا أنْ نقرأ هذهِ المواد بمشهد تمثيلي نتحسّس به الواقع بمدى مساهمة أهل البيت عليهم السلام، ومدى اضطرار الخلق بما فيهم رؤوساء الدول إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام؛ لأنَّهم يعلمون أنهم هم المفزع والملجأ في كل شيء، لم تكن صدفة أن يعلم عبد الملك بن مروان أن الباقر عليه السلام خبير بالنقد الدولي؟!. ومن قال للمتوكِّل أنَّ الهادي عليه السلام خبير بالقضايا الروحية والأديانية؟!؛ بل لأنَّهم يعلمون أنَّ أهل البيت عليهم السلام هم كعبة الآمال، وكعبة العلوم، وكعبة القيادة. وذلك مانقرأه في بعض الزيارات **«السلام عليكم يا سفن النجاة»** أو **«يا كهف الورى»** فلأهل البيت عليهم السلام قدرات لدنية وهبية متنوِّعة في كل المجالات ومختلفة، ومن الواضح هي قدرة إمام اصطفيت من قبل الله عَزَّ وَجَلَّ ليكون فيها نجاة البشر، كما حدث ذلك مع النبي يوسف عليه السلام عندما التجأ إليه ملك مصر في الأزمة الاقتصادية.

السبب الثاني:

والسبب الثاني من أسباب الاستنفار الأمني والعسكري حول بيت العسكريين عليهما السلام هو التخوُّف والحذر من ولادة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

فإنَّ هذا الاستنفار من أكبر دولة على وجه الأرض هو برهان والدليل

على هلعهم وتزلزلهم من ولادة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، وأنَّه حي يرزق، ووليّ لله، وخليفة الله في أرضه ومن ذاك القرن الثالث إلى هذا القرن الخامس عشر ـ حسب السنة الهجرية الراهنة ـ.

نعم، هناك براهين وبيّنات كثيرة ولكن أحد البراهين العظيمة على ولادته عجل الله تعالى فرجه الشريف، بلْ على عقيدة الاعتقاد بمهدوية الإمام الثاني عشر وبأنَّه المهدي الموعود، والمنجي للبشرية هو نفس إقامة السلطة العباسية السجن العسكري على الإمامين العسكريين عليهما السلام؛ لأنَّ السلطة كانت تتوجَّس الخيفة والحذر، بلْ كانت مرتبكة ومشوَّشة أمام حدث خطير جداً وبالغ الخطورة وعلى وشك الوقوع، ومن ثم أخذت السلطة العباسية استعدادات وإجراءات إستباقية للحيلولة دون وقوع هذا الحدث العظيم والخطير.

وهذه دلالة بينة على استيقان العباسيين والسلطات السياسية في المسلمين أنَّ حقيقة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف حقيقة دامغة ولا مفرَّ منها.

إذْ حسب حساباتهم إذا كانوا لايتمكنون من إحكام الخناق والسيطرة على الإمام الحسن عليه السلام وهو تحت الإقامة الجبرية والرقابة لتحركاته بشدّة فكيف إذا كان الإمام غائباً عنهم ولا يستطيعون رصد حركاته وأفعاله وأعماله.

الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف يدير شؤون الأمة بسرية تامة:

وطبع كتاب مؤخَّراً لأحد علماء منظري الاستراتيجية الفرنسية[1].

(١) وهذا الكاتب يدعى فرنسوا تويال وطبع الكتاب باللغة العربية سنة (٢٠٠٧)، وهذا الكاتب هو مدير للدروس في المدرسة الحربية العليا للجيوش الفرنسية (أرض، جو، بحر) ويعمل مستشاراً أيضاً لرئيس مجلس الشيوخ الفرنسي، ومتخصِّص بالدراسات

هذا الكاتب الفرنسي يقول إنَّ السِّر في بقاء الشيعة وتنامي عددهم وقدرتهم هو خفاء المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف الذي يديرهم ويدبرهم حيث يقول:

هذهِ الفكرة عصيّة على الفهم، فالأمر ليسَ **«صعوداً إلى السماء»**، كما في الدين المسيحي، بلْ غيبة شاءها الله كي يسمح لمحمد المهدي بأنْ يقود الناس بطريقة خفية. وفكرة غيبة الإمام هذهِ لها لدى الشيعة تأثير مهم على محتوى هذا الإيمان ونتائجه؛ لأنّها تفسير طابعه النهيوي، فالشعية ينتظرون نهاية العالم وعودة الإمام، باعتبار أنَّ هذهِ العودة هي، بشكل أو بآخر، نهاية التاريخ وانتصار الله في مصائر البشر.

إضافة إلى موضوع غيبة الإمام وانتظار ظهوره يتميَّز الشيعة بالأهمية التي يعلقونها على شرح النصوص وتأويلها[1].

فلاحظ كلامه فهو لم يقل يزعمون أو يدعون، ولم يتعاملَ مع القضية المهدوية كفرضية بلْ يتعامل معها كحقيقة راهنة، مع أنَّه مسيحي ومنظِّر استراتيجي لم يتعاطَ مع وجود الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وحياته كزعم وفرضية لم يقم عليها برهان، كما في كتبنا التي ندلِّل عليها ببرهان، ولم يتعاملِ معها كأسطورة خيالية، وإنَّما يتعامل معها كإرسال المسلمات؛ وبوعي بأنَّ الغيبة مشروع حضاري جبّار مهيمن على قوى النظم البشرية؛ ويقرأ قضية الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بعقلية أمنية بشرية، ولذلك نراه يتعاطى معها كحقيقة راهنة دامغة، وهذا بخلاف ـ وللأسف ـ ذهنية عدة من المذاهب الإسلامية التي

الاستراتيجية وله حوالي خمسة وعشرين كتاباً والكتاب عنوانه (الشيعة في العالم، صحوة المستبعدين واستراتيجيتهم).

(١) الشيعة في العالم، ص٣٩ ـ ٤٠.

تعترض وتشكِّك وتقول إذنْ فما لفائدة من غيبة الإمام؟!.

إعلان حالة الطواريء خوفاً من المهدي عجل الله فرجه:

إجراءات أمنية مشددة قبل ولادة المهدي عجل الله فرجه:

ونحن إذ نذكر ونصوِّر هذهِ القضية عن هذا الكاتب لكي نعيش هذا التصوير والجو بين السلطة العباسية والإمام الحسن عليه السلام؛ لأنَّ السلطة العباسية كانت تتعاطى مع الحسن العسكري عليه السلام أنه والد للمهدي المنتظر كحقيقة راهنة لا كأسطورة مزعومة أو بأنَّ الشيعة يروون أنَّ الأئمة أثني عشر إماماً، بلْ كانت تتعاطى مع هذهِ العقيدة المهدوية كشيء مبده، ولذلك اتّخذت تلك الإجراءات الاستباقية التي كانت بدرجة تأهب قصوى تّجاه مجيء الإمام المهدي عجل الله فرجه.

وأقامت السجن العسكري وفي داخل القاعدة العسكرية وفي العاصمة العسكرية، ولو نُدقِّق ونراجع الموسوعات القانونية، والحقوقية، والموسوعات السياسية العصرية الحديثة، لشاهدنا أنَّ الدولة تقيم محاكم عسكرية عندما يطرء إرباك أمني خطير، فتعلن الدولة هذا الاستنفار أو حالة الطوارئ العسكرية، فهل عقيدة الإمام المهدي عجل الله فرجه أسطورة؟!.

وإذا كانت مجرد أسطورة فلماذا تعلن أكبر دولة على وجه الأرض أنذاك وهي الدولة العباسية حالة الطواري وحالة الاستنفار الأمني والعسكري، ومن ذلك الوقت ـ القرن الثالث ـ إلى يومنا هذا نرى الدول العظمى تتعاطى مع القضية المهدوية كحقيقة راهنة دامغة لا كقضية مأثورة في روايات تاريخية .

القيادة الرشيدة للإمامين العسكريين عليهما السلام:

ومن خلال كل هذا يبزغ لنا طابع آخر عن شخصية الإمامين العسكريين عليهما السلام وأنَّهما كيف كانا يديران تربية المسلمين وتربية المؤمنين في ظل إقامة جبرية في سجن عسكري. فكم هي الحالة معقَّدة ومتأزِّمة ومستعصية ومع كل ذلك تتطلب إدراة من قيادة رشيدة.

ومن الواضح أنَّ هناك فرقاً بين أنْ يكون القائد أو أي شخص آخر إذا سجن في المدينة المدنية وبين أنْ يكون سجيناً في المدينة العسكرية؛ لأنَّه في السجن المدني السياسي قدْ يحافظ على شيء من التوازن والمقررات التعايشية، أو من الأعراف المرسومة وبالتالي قدْ يكون هناك شيئاً من الضوابط الأخلاقية.

بينما في السجن العسكري قدْ يفقد السجين كل ذلك، وخصوصاً إذا كان النظام نظاماً مستشرساً دموياً، فسوف لا يكون هناك نبل وقيم وأعرف، وخلق وإنسانية، وإنَّما إفراط في الرذيلة والسفل والسفالة والإسفاف إلى حدّ لا يطاق؛ لأنَّ اللغة فيها هي لغة العسكر ولغة الإستسباع؛ وآليات أنياب ومخالب وضحية.

ومن أجل ذلك أقامت المواثيق الدولية العصرية مقررات ونظام خلقي في الحرب؛ لأنَّهم يخشون من تمادي وحشية الحالة العسكرية ولا يريدون أنْ تطغى العسكرة وحالة السبعية حتّى يحافظون على حياة الأبرياء وعلى أعراض النساء من الهتك.

في حين لو نُدقِّق في النظام الخلقي لدى الحيوانات السباع كالأسد

مثلاً، إذا أرادوا أنْ يفترسوا حيواناً آخر ووجدوا هذهِ الفريسة مريضة فلا يقتربون منها، وكأنما تأخذهم نوع من الرأفة والرقة، وقد اكتشفوا علماء الحيوان بعض الخلق الشريف في نظام الاستسباع، ولكن في النظام العسكري نراه فاقداً لهذه الأخلاق.

ومع كل هذا الجو المستعر في التوحش العسكري كان الإمام الحسن العسكري عليه السلام على رأس قمة التوازن الخلقي العالي في الكرم والنبل والعفاف والزهادة والهالة القدسية، وكان عليه السلام يربي ويبقي الأمَّة الإسلامية وخصوصاً شيعته على أخلاق القرآن الكريم وسُّنّة جده وآبائه عليهم السلام.

ولو نرجع إلى الروايات لشاهدنا كيف كان يعيش العسكري عليه السلام قمة الطهارة والقدس في ظل نظام يقيم محافل الخمور والرقص والمجون، وكم عانى من هتك حرمة هو ووالده الهادي عليه السلام، فقد تجرعوا كؤوس الشدائد والمحن مع هذا النظام الطائش الدموي.

وقد روي أنَّ المتوكِّل أمر بإحضار الإمام علي الهادي عليه السلام إلى مجلسه وقد كان المتوكِّل يحتسي الخمر، فأجلس الإمام عليه السلام إلى جانبه وناوله الكأس التي كانت في يده.

فقال عليه السلام: والله ما يخامر لحمي ودمي قط، فاعفني فأعفاه.

فقال: أنشدني شعراً.

فقال عليه السلام: إني قليل الرواية للشعر.

فقال: لابدَّ.

فأنشده عليه السلام وهو جالس عنده:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم غلب الرجال فلم تنفعهم القلل

وعندما أكمل الإمام عليه السلام إلى نهاية شعره بكى المتوكِّل حتّى بلَّت لحيته دموع عينيه وبكى الحاضرون. وردّه إلى منزله مكرَّماً[1].

فهذا المشهد من السيرة للإمامين العسكريين عليهما السلام دليل وبرهان عصمة ، وإلا من يستقيم ويستطيع أن يرابط على المحجة وقمة لياقة نشاط القيادة مع كل هذه الفتن والضغوط ، هذه إرادة وعلم وقدرة يعجز عنها الحديد الفولاذ .

(١) مروج الذهب ج٤: ١١؛ بحار الأنوار ج٥٠: ٢١١.

التمهيد لغيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

هناك ثلاث نقاط شاركت في التمهيد للإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، وهي:

النقطة الأولى: الإمامين العسكريين عليهما السلام:

يذكر جملة من المحققين أنَّ في حياة العسكريين عليهما السلام نوع من الغيبة؛ لأنَّ غيبة القائد عن القاعدة الإسلامية بسبب الإقامة الجبرية وبسبب سجنهما عليهما السلام هي نوع من الغيبة، بمعنى أنَّ هناك ترويضاً من العسكريين عليهما السلام للأُمَّة الإسلامية.

ولذلك نلاحظ في الروايات كم كابد علماء الشيعة وأتباع أهل البيت عليهم السلام بلْ حتّى بقية المسلمين في الاتصال أو الإرتباط بالعسكريين عليهما السلام، وقد استعملوا عِدَّة أساليب عجيبة وغريبة كي يتواصلوا مع الإمامين عليهما السلام حتّى يتلقون التعليمات في التدبير والإدارة والتعليم وبقية المجالات الأخرى.

النقطة الثانية: علماء وشيعة أهل البيت عليهم السلام في زمن الأئمة عليهم السلام:

وليسَ من الصدفة أنْ يتكامل مجتمع المؤمنين والمجتمع البشري ليعيش بإدارة قائد لكن مع خفائه عن الجمهور أو القاعدة الشعبية.

وليسَ من الصدفة أيضاً أنَّ هناك من علماء الشيعة أو من المؤمنين وصلوا إلى درجة يمكنهم إدارة المجتمع نيابة عن القائد الحقيقي رغم انقطاع الاتصال، فالقائد المعصوم الإلهي يدبر ويتغلغل ويدير هذهِ الشؤون بتمام الفعالية والنشاط، ولكن من دون علم من نواب بالنيابة العامّة وعلماء الإمامية، ونخب الإمامية، وعيون المؤمنين، ومن دون وعيهم لكيفية الاتصال والارتباط والتدبير، وهذا يدلُّ على وصول المجتمع الإمامي إلى درجة من الرشاد قدْ عاشها أهل الإيمان ببركات كفوءة لأئمة أهل البيت عليهم السلام. وهذا الرشاد بلغ ذروته لأتباع الإمامين العسكريين عليهما السلام.

النقطة الثالثة: علماء وشيعة أهل البيت في زمن الغيبة:

وهذهِ النقطة تدل على أنَّ مشروع أهل البيت عليهم السلام لا يقف عند وضعية أهل الإيمان وسيرتهم التي كانت في عهد الأئمة عليهم السلام كالسجّاد أو الباقر أو الصادق عليه السلام، بلْ مشروع أهل البيت عليهم السلام هو مشروع ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾.

بمعنى أنَّه يجب بأستمرار دائماً أنْ يتسع ويشع نور ومنهاج أهل البيت عليهم السلام في الشعوب. فإنَّ أكبر عامل مساعد على ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، وأكبر نصرة لله تعالى وللنبي صلى الله عليه وآله ولأمير المؤمنين عليه السلام ولفاطمة الزهراء عليها السلام وللحسن والحسين عليهما السلام وإلى جميع الأئمة عليهم السلام، ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ هي نشر تعاليم أهل البيت عليهم السلام في الشعوب البشرية عموماً، وفي الشعوب الإسلامية خصوصاً؛ لأنَّه كما قال الرضا عليه السلام **«يتعلم علومنا ويعلمها الناس**

فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا»[١].

وذلك لأنَّهم يحملون مسؤولية المشروع الإلهي، نعم روي أنَّ أكبر علامة لظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف هي الصيحة أو خروج السفياني أو خروج الحسني واليماني غير ذلك لكنها علامات حتمية فيها البداء، ولكن في الواقع أكبر علامة مؤكَّدة حتمية لا بداء فيها لظهور الإمام عجل الله فرجه الشريف هو إنتشار منهاج أهل البيت عليهم السلام علمياً في ثقافة الشعوب؛ حتّى لا يتمُّ طمس تعاليم أهل البيت عليهم السلام وتبديلها بإنحرافات ودجليات التي تخرج بين الحين والآخر من قبل فرق أو جماعات تضحك وتشعوذ على عقول البشر، إنَّ المناصرة والمؤازرة لظهور الإمام عجل الله فرجه الشريف هو نشر مبادي وتعاليم أهل البيت عليهم السلام، والتي هي تعاليم النبي صلى الله عليه وآله وحقيقة الإسلام التي بينها أهل البيت عليهم السلام ،لا أنْ نسعى لطمسها واستبدالها ببدائل مبتدعة ومنحرفة جديدة ومصطنعة ومدلّسة.

هدم قبور الإمامين العسكريين عليهما السلام:

ولذلك حاولوا جهد إمكانهم طمس ذكرهم حينما هدموا قبورهم الشريفة بالتفجير في سامراء، وللأسف إنَّما يتمُّ ذلك بذرايع دجلية إبليسية لكي يمحوا معالم الدين.

إنَّ للإنسان جنبتان، جنبة حسية وجنبة روحية، وهذهِ المعالم تشد الإنسان إلى الدين من خلال جنبته الحسيّة؛ ولذلك نلاحظ أنَّ الله تعالى

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ٢٧٥.

جعل له بيتاً تقصده الناس في العمرة أو الحج، مع أنَّ الله ليسَ بجسم حتّى يحتاج إلى هذا البيت والذي هو الكعبة الشريفة، وإنَّما هذهِ معالم ومشاعر وشعائر جعلها الله عَزَّ وَجَلَّ لأجل أنْ تشدّهم وتربطهم وتلصقهم وتذكرهم بالباري تعالى ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾[1] وقوله تعالى ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾[2] وقوله تعالى ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا﴾[4].

إنَّ هذا التقديس الذي من قبل الله تعالى لبعض البقاع هو بنفسه دليل عظيم على أنَّ تشييد المعالم الجغرافية في الدين هي من صميم الدين[5].

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٨.
(٢) سورة النازعات: الآية ١٦.
(٣) سورة المائدة: الآية ٢١.
(٤) سورة سبأ: لاآية ١٨.
(٥) راجع كتاب عمارة قبور النبيﷺ وأهل بيته مشعر إلهي، وهي تقرير محاضرات الشيخ الأستاذ.

فهرس الموضوعات

هوية الكتاب ٤

الإهداء ٧

المقدمة..... ٩

الجواد عليه السلام أعظم بركة..... ١١

منهاج المعرفة: ١١

مؤتمر باريس: ١٢

إعتراف غربي بعلم أهل البيت: ١٣

الإعجاز العلمي وعلوم أهل البيت عليهم السلام: ١٤

سند نهج البلاغة: ١٥
ترجمة علوم أهل البيت عليهم السلام: ١٧
علم الإمام الجواد عليه السلام ١٩
لماذا لقبا بالعسكريين ٢٥
سجن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: ٢٧
سيطرة الإمامين العسكريين على الساحة الإسلامية: ٢٩
لماذا هذا التصعيد: ٢٩
أسباب هذا الاستنفار: ٣٢
بيعة الأئمة عليهم السلام: ٣٣
الطائفية والمذهبية: ٣٤
خطاب للأخوة الإسماعيلية: ٣٦
الإمام المعصوم والتخطيط السياسي: ٣٧
البعد العملي لأهل البيت عليهم السلام: ٣٩
الخطة الأمنية للإمامين العسكريين عليهما السلام: ٤١
قوة تدبير الإمام الصادق عليه السلام الأمنية: ٤٣
رسل الإمام الصادق عليه السلام: ٤٥
الإمام الهادي عليه السلام قائد لا تهزه العواصف ٤٧
الإمام المهدي عجل الله فرجه يدير شؤون الأمة بسرية تامة: ٥٠

القيادة الرشيدة للإمامين العسكريين عليهما السلام: ٥٣
التمهيد لغيبة الإمام المهدي ٥٧
النقطة الثانية: علماء وشيعة أهل البيت عليهم السلام ٥٧
في زمن الأئمة عليهم السلام: ٥٧
هدم قبور الإمامين العسكريين عليهما السلام: ٥٩
فهرس الموضوعات ٦١

فهرس الموضوعات